طريق ركب الحاج العراقى

من الكوفة إلى مكة

من الفتح الإسلامي حتى سقوط بغداد

بعد أن اتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، وانتشر الاسلام بين شعوب أمصارها فى آسيا وفى أفريقيا وفى الأندلس ، أصبح يفد الى مكة لاداء فريضة الحج أعداد كبيرة من المسلمين ، من مختلف الشعوب ، وكانت ركبان الحج من الأمصار الاسلامية فى اتجاهها إلى مكة المكرمة تسلك أربعة طرق رئيسية تشق شبه الجزيرة العربية من شرقها وشمالها وجنوبها وغربها ، وهذه الطرق هى نفسها - على وجه التقريب - طرق التجارة القديمة التى كانت معروفة عند العرب فى الجاهلية وسلكوها الى مكة ، سواء للتجارة أو للحج . وفى الاسلام عرفت هذه الطرق بطريق ركب الحاج العراقى ، وطريق ركب الحاج الشامى ، وطريق ركب الحاج المصرى وطريق ركب الحاج اليمنى .

طريق ركب الحاج العراقى : -

يسلك هذا الطريق جميع حجاج قارة أسيا القادمين من شرقى العراق ويتجمعون فى العراق بمدينة الكوفة ومنها يدخلون شبه الجزيرة العربية باسم ركب الحاج العراقى ، الى أن يصلوا الى مكة وسوف نتحدث فى هذا المقال عن وصف الطريق وما قدم فيه من خدمات منذ الفتح الاسلامى حتى سقوط الخلافة العباسية فى بغداد .

خدمات الحجاج على طول الركب العراقى :

أ) وصف الطريق :

يبدأ طريق الركب العراقى من مدينة الكوفة حيث تتجمع فيه ركبان العراق وركبان جميع المدن والقرى التى تقع فى قارة آسيا شرقى العراق ويتجه الى القادسية . وهى على بعد مرحلة كاملة من الكوفة(١) . ويقيم الركب فى القادسية يوما ثم يرحل الى العذيب(٢) ـ (**تصغير العذب وهو الماء الطيب ، ويقع العذيب بين القادسية والغبثة وبرواد وهو حدود سواد العراق**) . وعندما يخرج الركب من العذيب ، يدخل فى البادية . لذا يحصل الحجاج على مؤنتهم من الماء استعدادا لدخول مناطق الصحراء(٣) . ثم يدخلون الرحبة . والرحبة قرية بحذاء القادسية . وتقع على بعد مرحلتين منها (٤) وبالرحبة ماء يتزود منه الحجاج قبل رحيلهم الى سلمى . وسلمى أحد جبلى طىء (**أجأ وسلمى**) والى الغرب من جبل سلمى واد يقال له رك(٥) . ويقصده حجاج الركب العراقى لوجود الماء فيه والمسافة بين الرحبة وسلمى أربعة مراحل ويبقى الحجاج بسلمى يوما ثم يرحلون منها الى واقصة(٦) وهى مكان بطرق مكة بعد القرعاء وقبل العقبة وتعود واقصة لبنى شهاب من طىء وفيها آبار يتزود الحجاج منها بالماء ثم يرحلون الى خاديت(٧) ومنها الى مكان يسمى زرود والمسافة ستة مراحل ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه لوجود رمال بها(٨) . وتقع زرود بين الثعلبية والخزيمية وهى بداية حدود جبال الحجاز(٩) . ولها أهمية فى الجاهلية حيث أن زرود من أيام العرب المشهورة بين ثعلب وبنى يربوع(١٠) . وبعد زرود يقصد الركب العراقى مكانا يسمى الاجفر(١١) . وهو على بعد مرحلتين من زرود . وتعتبر اجفر من بلاد قيس لبنى أسد ثم اصبحت لبنى سواده من بنى أسد ثم يتجه حجاج الركب العراقى الى مرشيت ويرد ماءها ليتزود منه وبعدها يرحل الى تحت سلمان(١٢) ويقع تحت سلمان قرب عين صير ويبعد عن العقبة مسيرة ليلتين وبه ماء قديم من الجاهلية . ويقال إنه سمى بذلك نسبة الى سلمان الحميرى . ويقال إنه لبنى أسد . وقد نزله بنو ضبة وبنو نمير(١٣) ويرتبط تحت سلمان بيوم من أيام الجاهلية . ويعتبر من الأيام المشهورة بين وائل وبنى تميم(١٤) .

وبعد نزول حجاج الركب العراقى بتحت سلمان يرحلون الى مكان يسمى حاج . ويقال إن

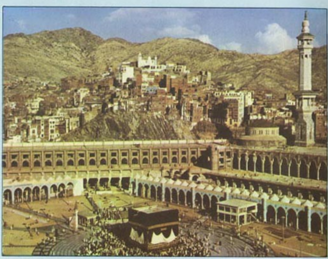

○ مكة المكرمة ○

ذات حاج لغطفان ، وهى تقع على بعد أربعة مراحل من تحت سلمان(١٥) . ومن ذات حاج يتجه حجاج الركب الى بويرات وهى تقع قرب وادى القرى ومنها آبار يتزود منها الحجاج بالماء،(١٦) ثم يصلون الى ذات عرق الحد بين نجد وتهامة ، وذكر بأن عرق جبل بطريق مكة ومنه ذات عرق وهو ميقات حجاج الركب العراقى(١٧) ، ويخرجون منه مهللين بالتلبية متجهين الى وادى نخلة والمسافة بين ذات عرق ووادى نخلة اربعة مراحل .

ويبدأ استعداد حجاج الركب العراقى لدخول مكة من وادى نخلة ، وهو أحسن وديان مكة لوفرة المياه ولوجود الزرع به(١٨) . هذا ويدخل حجاج الركب العراقى مكة المكرمة من

اعلاها(١٩) . كما يذكر بأن حجاج الركب العراقى كانوا يقيمون غالبا فى منطقة الشعب بمكة المكرمة ومن الجدير بالذكر ان اسم هذا الطريق عرف فيا بعد بطريق درب زبيدة نسبة لما قدمت فيه من خدمات جليلة(٢٠) .

ولعله من المفيد أن نشير الى رحلة ابن جبير(٢١) سنة ٥٨٧ هـ الى مكة لاداء فريضة الحج ، ثم رحيله بعد قضاء موسم الحج مع الركب العراقى الى المدينة المنورة ومنها الى الأراضى العراقية ، وفى وصفه لطريق الركب العراقى يتضح لنا أنه تحول من الطريق الأساسى الذى كان يمر منه والذى أوردناه من قبل ، وان ما طرأ على هذا الطريق من تغيير يرجع الى ضعف الخلافة العباسية .

هذا ويمكن القول إن الخلافة العباسية لم تستطع حماية هذا الطريق الأساسى منذ خلافة القائم بأمر الله ، أى حوالى سنة ٤٢٢ هـ ، وحتى نهاية الخلافة العباسية فقد تزعزع أمن طريق حجاج الركب العراقى فى هذه الفترة زعزعة شديدة فيذكر الرواة أن طريق الركب العراقى قد ملىء بالرعب بسبب طغيان القبائل التى تسكن فيه منذ أن ضعفت بغداد ونحاول تتبع طريق الحاج العراقى الذى سلكه بن جبير والذى يمكن القول أنه كان مسلوكا منذ ٤٢٢ هـ .

يتجمع الحجاج فى الكوفة ويخرجون منها الى منهل(٢٢) ، وهو مكان قروى تكثر فيه الابل ، وهو لبنى سليم ، ثم يرحلون الى واقصة ومن واقصة الى القرعاء(٢٣) . ثم يرحلون الى زبالة ، وهو منزل معروف بطريق مكة ـ الكوفة ، وقرية عامرة بها أسواق . ومن زبالة يرحل الحاج الى الثعلبية وهو لبنى أسد وقد سميت بذلك نسبة الى يوم من أيام العرب وقع فى الجاهلية(٢٤) . ويرحلون من الثعلبية الى مكان يسمى الشقوق(٢٥) ويقع قبل الخزيمية(٢٦) . وتقع الخزيمية فى ثلث الطريق من مكة الى الكوفة ، وبها ماء يسمى ماء النويجعة(٢٧) . ثم يرحلون الى القصر ، والقصر هو الغابة وهو مكان به أشجار يقصده الحجاج ويستظلون تحت الأشجار ، ومن هناك يرحلون الى زرود . ثم يرحلون الى الأجفر وهى بلاد قيس لبنى سوادة ، ويرحلون منها الى دهان(٢٨) ، وبه أسواق قديمة أحييت بعد ارتيادها من قبل حجاج الركب

○ جبل الرحمة ○

العراقى . ثم يرحلون الى جبل المخروق وهو جبل فى وسط الصحراء فى أعلاه ثقب قد فتحته الرياح منذ زمن بعيد ، وبعدها يرحلون متجهين الى الحاجر . والحاجر فى لغة العرب ما يمسك الماء ويقع الحاجر قبل معدن النقرة . وهذا الطريق قليل الماء ولم يتم فيه أعمال من قبل الخلفاء فى حفر الآبار وعمل المحطات والآبار التى تقع فيه انما من أعمال سكان هذه المناطق . ثم يرحل حجاج الركب العراقى الى القارورة ، وتقع وسط نجد وبها ماء ، وبعدها يقصدون الثغرة ويوجد بها آبار للأعراب وماؤها عذب ، وعندها يفترق الطريق . فمن اراد مكة نزل المغيثة ، ومن أراد المدينة اتجه الى العسيلة . والعسيلة تأنيث العسل به ماء عذب ثم يتجه الى

وادى العروس ثم يدخلون المدينة . أما الحاج الذى يأتى من الكوفة ويقصد مكة فيفترق من الثغرة ثم يرحل الى المغيث ، ثم يرحل الى ذات حاج ثم الى بويران ، ويتجه الى ذات عرق ، وهى ميقات أهل العراق . ثم يرحلون الى وادى نخلة مهللين مكبرين مرتدين ملابس الاحرام استعداداً لدخولهم مكة المكرمة .

ب ـ الخدمات :

فى سنة ١٠٤ هـ أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك عامله على الكوفة عمر بن هبيرة بأن يقوم بتعبيد طريق الكوفة ـ مكة وأن ينشىء فيه المحطات وأن يقوم بحفر الآبار حيث أن حجاج الركب العراقى كانوا يجدون صعوبة فى حصولهم على الماء(٢٩) . ولهذا يعتبر يزيد ابن عبد الملك أول خليفة اموى يهتم بطريق الركب العراقى . ولم تذكر المصادر التاريخية أية خدمات اخرى كبيرة قدمت من قبل خلفاء الدولة الاموية فى هذا الطريق .

ومما لا شك فيه ان الدولة الأموية منذ تاريخ تأسيسها قد انشغلت بالفتنة الداخلية التى كان منشأها الشيعة والخوارج والزبيرة ، ومن المعلوم ايضا ان خلفاء الدولة الاموية ركزوا جهودهم فى الفتوحات الاسلامية وتنظيم الدولة . ويمكننا ان نفترض ان موارد المياه كانت كافية لسد حاجة الحجاج فى هذا الطريق من بعد ما عمله عامل يزيد بن عبد الملك .

وبعد ان استتب الأمر للدولة العباسية فى سنة ١٣٢ هـ اهتم ابو العباس السفاح باصلاح طريق الركب العراقى ، ففى سنة ١٣٤ هـ أمر والى الكوفة عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس باصلاح طريق الكوفة ـ مكة(٣٠) وفى سنة ١٣٦ هـ قام أبو مسلم الخراسانى باصلاح طريق الحاج العراقى ووزع اعطيات على الأعراب الذين يسكنون فى الطريق .

وفى هذه السنة اخذت البيعة لابى جعفر المنصور بعد وفاة اخيه ابى العباس السفاح وامر امير الحج سليمان على بن عبد الله بن العباس بأن يقوم باطعام الحجاج على طول طريق الحاج(٣١) . وعندما حج بالناس ابو جعفر المنصور سنة ١٣٦ هـ وزع اعطيات على الأعراب القاطنين فى طريق الركب العراقى . كما أنه قدم لهم الأطعمة وأمر بحفر الآبار وتعبيد الطريق

○ البيت العتيق ○

واهتم بالسقاية على امتداد طريق الركب .

وفى سنة ١٤٠ هـ حج بالناس للمرة الثانية ، ويقال بأنه احرم من الحيرة وقد وزع الأعطيات على الأعراب وامر ببناء المساجد فى طريق الحج(٣٢) .

وفى سنة ١٤٨ هـ حج بالناس مرة اخرى وامر باصلاح الآبار فى طريق الركب العراقى(٣٣) .

وفى سنة ١٥٨ هـ توفى أبو جعفر المنصور وهو فى طريقه الى الحج عند بئر ميمونة ، وولى اميرا للحج ابن اخيه ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم بن محمد بن العباس(٣٤) .

وفى سنة ١٦٠ هـ حج بالناس الخليفة المهدى ، وقد حمل محمد بن سليمان الثلج معه على طول طريقه اكراما للخليفة(٣٥) . ويعتبر الخليفة المهدى أول خليفة يحمل الثلج فى طرق الحج ويبدو أن وقت الحج فى هذه السنة كان فى فترة الصيف ، ولقد قام الخليفة المهدى بتوزيع أموال كثيرة على الأعراب الذين يسكنون طريق الحج العراقى ، ووزع الملابس عليهم(٣٦) .

وفى سنة ١٦١ هـ أمر الخليفة المهدى ببناء القصور بطريق مكة ، وبنى قصره المعروف فى قرية زبالة وامر ببناء بركة فى الاجفر . وامر ابنه موسى الهادى فى نفس هذه السنة برصف طريق الحج وامره ايضا ان يوزع الاعطيات على الاعراب فى طريق الحج(٣٧) .

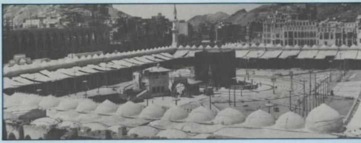

○ الحرم المكى ○

وفى سنة ١٦٤ هـ لحق حجاج الركب العراقى عطش شديد حتى كادوا يهلكون وحينما علم الخليفة المهدى بذلك غضب غضبا شديدا(٣٨) ولقد أمر المهدى فى السنة التالية بانشاء محطات للبريد فى طريق الركب العراقى والطرق الاخرى(٣٩) . ولعله بعمله هذا اراد ان يكون على علم بأحوال الحجاج فى طريق الحج وما يجدونه من صعوبات ، اذ انه امر فى نفس الوقت بزيادة عدد الآبار فى طريق الركب العراقى .

وفى سنة ١٧٠ هـ بويع هارون الرشيد بالخلافة وحج بالناس وقام بتعمير طريق الركب العراقى وغيره وامر بحفر الآبار وتوزيع المال على الأعراب القاطنين على هذه الطرق(٤٠) .

وفى السنة التالية حجت والدة الرشيد (الخيزران)(٤١) ووزعت اموالا على الأعراب القاطنين فى طريق الحج العراقى .

وعندما توفيت والدته فى سنة ١٧٣ هـ وحزن لموتها حزنا شديدا قرر اداء فريضة الحج وخرج من مدينة بغداد محرما قاصدا مكة ووزع اعطيات كثيرة فى طريق الحج العراقى(٤٢) .

وفى سنة ١٧٧ هـ حج هارون الرشيد ماشيا ، فخرج من بغداد قاصدا الحج وقد عملت سحابة تظلله على طول طريق الركب ، وهذه السحابة كان يحملها ثمانية من البغال حتى

وصل الى مكة . هذا وتصف لنا المصادر اهتمام الخليفة بأمكنة طريق الحج العراقى وما قد قام به من اصلاحات فيها(٤٣).

وفى سنة ٢٠٨ هـ حجت السيدة زبيدة ابنة أبى جعفر المنصور وزوجة هارون الرشيد وامرت بحفر الآبار بين واقصة والثعلبية وأصلحت بئر الاجفر وامرت كذلك ببناء البرك على طول طريق الحج العراقى لتجمع مياه الأمطار فى هذه البرك من اجل الاستفادة منها فى سقى الحجاج وقامت بتوزيع اعطيات وهدايا على سكان الطريق(٤٤) ومن الملاحظ ان ما قامت به السيدة زبيدة من اعمال وبناء برك وحفر آبار وإصلاحات على طول الطريق يعتبر من اعظم الخدمات التى قدمت على طول طريق الركب العراقى . لهذا أصبح الطريق منسوبا إليها ولقد سمى فيما بعد باسم درب زبيدة .

ومن الجدير بنا أن نشير الى هذه الخدمات التى قدمت فى هذا الطريق قد استمرت فترة طويلة من الزمن ، ويهمنا ان نذكر بأن درب زبيدة فى الوقت الحاضر هو موضع اهتمام مصلحة الآثار السعودية من اجل التنقيب عن الآثار الباقية فيه .

وفى سنة ٢١٢ هـ حج الخليفة المأمون وفيها وزع اموالا على سكان طريق الحج العراقى وبنوا له القصور من اجل ان يقيم فيها لراحته اثناء رحيله(٤٥).

ويذكر بأنه فى سنة ٢٢٨ هـ اصاب الناس حر شديد بطريق مكة وبدأ الأعراب الذين يسكنون الطريق يتحكمون فى المياه فبيعت الراوية بأربعين درهم(٤٦) . ولم يقدم الخليفة العباسى أية خدمات فى هذه السنة بسبب انشغاله بما حدث فى الدولة من انقسامات مختلفة .

وفى سنة ٢٤٠ هـ أمر الخليفة المتوكل على الله بإضاءة طريق الحج العراقى بالشمع وكان الركب يحمل من وقود الزيت فينيره بإضاءة الشمع لأنه أسهل فى الحمل(٤٧)

ومن الملاحظ ان الخدمات توقفت بعد هذه السنة فلم تذكر كتب التاريخ أن خدمات قدمت للحجاج سوى ما قام به عضد الدولة سنة ٣٦٩ هـ من إصلاح طريق الحج العراقى وتقديم الأعطيات للاعراب القاطنين فيه وطلب منهم إعادة حفر الآبار من اجل سقيا الحجاج(٤٨) . ولعل السبب الرئيسى هو ضعف الخلفاء العباسيين وتفتت الدولة وما لحق بها من

انقسامات مختلفة بالاضافة الى ثورة الزنوج وظهور حركات القرامطة التى هددت طرق الحج . واعتدت على الحجاج وعلى بيت الله الحرام . وهذا الضعف من قبل الخلافة العباسية لطريق الركب العراقى جعل القبائل العربية التى تقطن هذه الطرق تعتدى على الحجاج وتفرض الضرائب والمكوس عليهم . ولذا يمكننا ان نربط بين قلة الأعطيات من قبل الخلفاء العباسيين المتأخرين وبدء اعتداءات القبائل على طريق الحج العراقى .

ج) اعتداءات القبائل :

حدث اول اعتداء على طريق الحج العراقى فى عصر الخليفة المهدى سنة ١٦٧ هـ اعتدى عرب بادية البصرة على طريق الحج وانتهكوا المحارم ، وحينما علم الخليفة بذلك أعد لهم جيشا لمقاتلتهم ، ولكنهم انتصروا على جيش الخليفة وتفرقوا فى مناطق الصحراء ولم

○ حجاج بيت الله الحرام ○

يستطع أن يلحق بهم جيش الخليفة(٤٩) .

وفى سنة ٢٦٦ هـ اعتدى الاعراب الذين يقطعون طريق الحج العراقى على الحجاج ونهبوا كسوة الكعبة وبعد اعتدائهم احتمت هذه القبائل بصاحب الزنج . وهذه الحادثة نبهت الخليفة العباسى المعتمد بالله أن يولى على طريق الحج والٍ يهتم بأمن الحجاج ويُحقق السلامة للركب فولى محمد بن أبى الساج ولاية طرق الحج وأعد له جيشا من اجل ان يحدّ هذه القبائل من اعتدائها على الحجاج وان عمله هو مراقبة الطرق وردع القبائل المعتدية ، والأمر الآخر هو تهديد صاحب الزنج بألا يحاول الاعتداء على طريق الحج العراقى(٥٠) .

وفى سنة ٢٦٨ هـ استطاع محمد بن الساج القضاء على حركة الزنج والقضاء على حركة الحرون وأسر قائدهم فى طريق الحج وأرسله الى الخليفة العباسى(٥١) .

وفى هذه السنة اعتدى ابو المغيرة المخزومى على طريق مكة قرب وادى نخلة على الحجاج ولكن ابن أبى الساج استطاع القضاء عليه(٥٢) .

وفى السنة التالية اعتدى الاعراب على قافلة الحج الخراسانية فى طريق عودتها بين كوز وسميراء فسلبوهم ونهبوا ابلهم وعلم بن أبى الساج بذلك فقام باعتداءات على قبائل الاعراب وتمكن من القضاء على رؤساء هذه القبائل(٥٣) .

وفى سنة ٢٨٣ هـ بدأت قبائل طىء الأعرابية اعتداءها على طريق ركب الحج العراقى ونهبوا الحجاج مما ادى الى نشوب قتال بين الحجاج وبين الاعراب وانتصر الحجاج وقتلوا رئيس طىء صالح بن مدرك ، وفر الباقون . ولقد ادى هذا الى سلامة الركب(٥٤) .

وفى خلافة المكتفى بالله العباسى سنة ٢٩٤ هـ بدأ القرامطة اعتداءاتهم على طريق الحج بين واقصة والثعلبية ، وكان جيش القرامطة بقيادة زكروية ، وكانت ركبان الحجاج موزعة على ثلاثة قوافل رئيسية فلم يستطع زكروية اللحاق بالقافلة الأولى ولكنه لحق بالثانية وهى القافلة الخراسانية والتحم معهم فى قتال شديد ولم يستطع الفوز عليهم ، فسألهم عن نائب السلطان فأجابوه بأنه لم يكن معهم فسمح لهم بالسير ، وعلى بعد مرحلة لحق بهم من خلفهم وأغار عليهم بالقتل ونجا من فرق الحجاج وعادوا من اجل اخبار القافلة الثالثة لتغير طريقها ، ولقد اتجهت القافلة الاخيرة من طريق الحج الشامى(٥٥) . وبعد هذا التاريخ بدأ القرامطة اعتداءهم على الآبار بطمرها وإخفاء معالمها وحينما علم بذلك الخليفة العباسى المكتفى بالله أعد لهم جيشا لملاقاتهم ، واستطاع الجيش ان يلتقى بالقرامطة فى الأجفر ونشب قتال بينهم انتصر فيه جيش الخليفة وقتل قائد القرامطة زكروية وحمل جميع الأسرى ومعهم رأس زكروية الى بغداد(٥٦) .

وفى سنة ٣٠٢ هـ خرجت الأعراب من الحاجر وقطعوا الطريق على الحجاج واعتدوا على امتعتهم واسروا حوالى ٢٨٠ امرأة .

وفى سنة ٣١٠ هـ قوىَ أمر القرامطة وبدأوا يعتدون على طريق الحج العراقى ففى طريق عودة الحجاج اعتدوا عليهم بوادى القرى ، ونهبوا أموالهم وسبوا نساءهم وترك

الحجاج موضعهم ، ومات أكثرهم جوعا وعطشا ، ويقال انه بعد هذه السنة توقف طريق الحج العراقى وبدأ القرامطة يهددون العاصمة بغداد(٥٧) .

وفى سنة ٣١٣ هـ اعتدى القرامطة على طريق الحج العراقى حيث أنهم تعرضوا للحجاج فى زبالة مما ادى الى رجوع الحجاج الى بغداد ولم يذهبوا للحج(٥٨) ويقال بأن أهل مكة خرجوا ومعهم أموالهم وأهاليهم قاصدين الطائف خوفا من اعتداء القرامطة(٥٩) .

وفى سنة ٣١٧ هـ سلم الحجاج فى طريق الركب العراقى من شر القرامطة ودخلوا مكة ، وفى يوم التروية دخل القرامطة بقيادة أبى طاهر القرمطى واعتدوا على الحجاج داخل المسجد الحرام وقلعوا الحجر الأسود وأخذوه معهم(٦٠) .

وفى سنة ٣٢٢ هـ أرسل الخليفة العباسى الى أبى طاهر القرمطى طالبا منه الكف عن الحجاج جميعهم وإعادة الحجر الأسود الى وضعه فأجابه بأنه لن يتعرض للحجاج ولكنه رفض إعادة الحجر الأسود(٦١) . وبعد ذلك العام أصبح الحجاج العراقيون يقصدون مكة عن طريق ركب حجاج الشام .

وفى سنة ٣٢٧ هـ بدأ القرامطة بأخذ عشرين دينارا ضريبة على كل حاج يمر بطريق الركب العراقى ، فاذا دفعها أمن من خطر القرامطة(٦٢) .

وفى سنة ٣٣٩ هـ أعاد القرامطة الحجر الأسود الى مكة ، ويقال إنهم حينما أعادوا الحجر الى مكة قالوا عبارة فى ذلك (أخذناه بقدرة الله سبحانه وتعالى ، ورددناه بمشيئته عز وجل)(٦٣) .

وفى سنة ٣٦١ هـ تعرض بنو هلال لحجاج الركب العراقى حيث أنهم نهبوا أموالهم واضطر الحجاج للعودة الى العراق(٦٤) ويقال إن الخليفة الفاطمى المعز لدين الله حرض هذه القبيلة على الاعتداء على الحجاج بسبب عدائه مع العباسيين(٦٥) .

وفى سنة ٣٧٨ هـ تعرض حجاج الركب العراقى فى طريق عودتهم من مكة لاعتداء مفرح بن دعثل المعربان الجراح من بنى طى بالرملة فى قُرية واقعة حيث انه حاصرهم ولم يخل سبيلهم الا بعد ان دفعوا له مالا كثيرا(٦٦) .

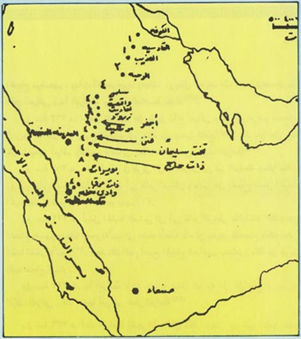
الكوفة
القادسية
العذيب
الرحبة
واقصة
أجفر
المدينة المنورة
تخت سليمان
ذات حاج
بويرات
ذات عرق
وادي نخلة
صنعاء

○ خريطة لبلاد الحجاز ○

وفى سنة ٣٨٥ هـ قام الخليفة العباسى القادر بأمر الله بدفع تسعة آلاف دينار للاعراب مقابل عدم تعرضهم لحجاج الركب العراقى (٦٧).

وفى سنة ٣٨٨ هـ استطاع الخليفة العباسى أن يوقف اعتداء الأعراب على حجاج الركب العراقى بدفعه ما طلبه الأعراب من أموال (٦٨).

وفى سنة ٤٠٢ هـ تعرض الأعراب لحجاج الركب العراقى وحبسوا عنهم الماء حتى بلغت صفيحة الماء مائة درهم ، وبعد تخلصهم من الأعراب ، تعرض لهم فى الطريق حماد ابن عدى الخارجى الملقب بالنار ووضع الحنظل فى الآبار لكى لا يستطيع الحجاج شرب الماء وأدى هذا

الى وفاة عدد كبير من الحجاج وحينما عاد الحجاج الى العراق أخبروا الخليفة بذلك ، فأرسل وزير الخليفة قوة عسكرية للحاق بهم قرب البصرة فأسرت عددا منهم ارسلوا الى بغداد(٦٩) .

وفى سنة ٤٠٣ هـ أعاد القرامطة اعتداءهم على طريق الركب العراقى وكانت نتيجة هذا الاعتداء انقطاع الحج العراقى فى هذه السنة(٧٠) .

وفى سنة ٤١٢ هـ حوصر حجاج الركب العراقى من قبل الأعراب فى قية وقد دفع الحجاج خمسة آلاف دينار لكى يسمحوا لهم بالذهاب الى الحج(٧١) .

وفى سنة ٤٢٣ هـ اعتدى الأعراب على حجاج الركب العراقى ونهبوا وقطعوا طريقهم ، وحينما علم الخليفة بذلك أمر والى البصرة بأن يرسل حرسا يقومون بحراسة الحجاج(٧٢) .

وفى سنة ٤٢٤ هـ خرج الحجاج من البصرة ومعهم الحرس ورئيسهم فغدروهم ونهبوا أموالهم ومتاعهم وهربوا منهم ، مما أدى الى عودة الحجاج العراقيين الى بغداد ولم يذهبوا الى الحج(٧٣) وعلى أثر هذا انقطع طريق الحج العراقى مدة من الزمن ، والسبب يعود الى كثرة اعتداء القبائل عليهم وما لاقوه من أهوال فى هذا الطريق وأصبح الحجاج العراقيون يذهبون مع الركب الشامى لقصد الحج(٧٤) .

ومنذ سنة ٦٠٠ هـ الى سنة ٦٥٦ هـ بدأ الخليفة العباسى يرسل مع الحجاج حمايات عسكرية لحماية الحجاج من الاعراب الذين يقطنون البوادى ، ولكى يضمن سلامة الحجاج فى طريقهم لاداء النسك(٧٥) .

وفى خلال هذه الحقبة الزمنية ، تمت بعض الخدمات اليسيرة . ففى سنة ٦٤١ هـ وزع الخليفة المنتصر بالله العباسى صدقات كثيرة على الأعراب القاطنين بطريق الحج العراقى لكى يأمن سلامة ركب الحجاج من اعتداء القبائل عليه(٧٦) . ويجدر بنا أن نذكر أن حجاج الركب العراقى لم يعانوا من اعتداءات القبائل فقط ، بل عانوا فى بعض السنين معاناة عظيمة لشح الماء فى طريق الركب العراقى . ففى سنة ٢٩٥ هـ أصاب حجاج الركب العراقى عطش شديد حتى أنهم لم يجدوا الماء والسبب يعود الى موسم الجفاف الذى عم أنحاء الجزيرة العربية . ولقد مات عدد كبير منهم ، ويذكر الطبرى أن العطش لحقهم فى منطقة الحاجر .

وفى سنة ٣٥٧ هـ هلك حجاج الركب العراقى بسبب قلة الماء فى طريق الحج ولم يدركوا الحج فى هذه السنة(٧٧) .

وفى سنة ٣٩٥ هـ لحق بحجاج الركب العراقى عطش شديد واصابتهم رياح شديدة أدت الى عرقلة سير الركب الى مكة فلم يدركوا الحج(٧٨) .

وفى سنة ٦٥١ هـ واجه حجاج الركب العراقى عطش شديد ، وقيل أن شربة الماء بيعت بدرهم(٧٩) .

كما يجدر بنا أن نذكر أن حجاج الركب العراقى قد أصيبوا فى بعض السنوات بمزيد من الفناء ، ففى سنة ٤٨٦ هـ سير أمير مكة محمد بن أبى هاشم فرقة عسكرية لحقت بالحجاج خارج مكة فى طريق عودتهم ونهبت جميع أموالهم وأحمالهم وعاد الحجاج الى أمير مكة يخبرونه بما حدث لهم من عسكره ويطلبون منه اعادة بعض مالهم لأن ديارهم بعيدة ولكن الأمير رفض طلبهم فخرجوا من مكة وهم فى أقبح صورة ولما سلكوا الطريق ، ظهر لهم الأعراب واعتدوا عليهم فى عدة جهات وأخذوا ما بقى لديهم من المال وقتل عدد كثير منهم ، ولم يعد منهم الآ من لاذ بالفرار ولحق بالركب الشامى(٨٠) .

خاتمة :

وصف هذا المقال طريق الحج العراقى من الكوفة وحتى مكة المكرمة منذ الفتح الاسلامى وحتى سقوط الخلافة العباسية ، وما قدمه الخلفاء والأمراء والوزراء من خدمات تمركزت فى حفر الآبار وبناء المحطات المتنوعة وتطرق المقال الى الاعتداءات التى كان يقوم بها الأعراب القاطنون على الطريق ، على ركب الحاج العراقى ووضح ان سبب الاعتداءات يرجع اساسا الى ضعف الخلفاء .

● الهوامش ●

١ ـ **الجزيري** : درر الفوائد . القاهرة ١٣٨٤ هـ ص ٤٦٥ .
٢ ـ **ياقوت** : معجم البلدان ج ٤ ص ١٣٦ .
٣ ـ **الجزيري** : درر الفوائد ص ٤٦٦ .
٤ ـ **ياقوت** : معجم ج ٤ ص ٣٤ .
٥ ـ **الجزيري** : درر الفوائد ص ٤٦٦ .
٦ ـ **ياقوت** : معجم ج ٥ ص ٣٥٣ .
٧ ـ **المصدر السابق** : ج ٢ ص ٢٥٢ .
٨ ـ **الزبيدي** : تاج العروس مادة زرد .
٩ ـ **ياقوت** : معجم ج ٣ ص ١٣٩ .
١٠ ـ **جواد علي** : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٣ ص ٣٥٢ .
١١ ـ **ياقوت** : معجم البلدان ج ١ ص ٩٨ .
١٢ ـ **الجزيري** : درر الفوائد ص ٤٦٦ .
١٣ ـ **ياقوت** : معجم البلدان ج ٢ ص ٧ .
١٤ ـ **جواد علي** : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٣١٦ .
١٥ ـ **ياقوت** : معجم البلدان ج ٣ ص ٤ .
١٦ ـ **ابن كثير** : البداية والنهاية ج ٩ ص ٩٣٢ .
١٧ ـ **ياقوت** : معجم البدان ج ١ ص ٥١٢ .
١٨ ـ **علي المالكي** : الشاق الصغير ورقة ٥٨ .
١٩ ـ **ياقوت** : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٧٦ .
٢٠ ـ **الجزيري** : درر الفوائد ص ٤٦٧ .
٢١ ـ انظر الخريطة في نهاية المقال .
٢٢ ـ **ابن جبير** : رحلة ابن جبير ص ٤٩ .
٢٣ ـ **ابن جبير** : رحلة ابن جبير ص ١٦٢ ـ ١٦٩ .
٢٤ ـ **الطبري** : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ٢٠ .
٢٥ ـ **اليعقوبي** : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٥٢ .
٢٦ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٥ ص ٤٥٨ ، ٥٩ .
٢٧ ـ المصدر السابق ، ج ٥ ص ٤٦٢ .

٢٨ ـ **المسعودى** : مروج الذهب ج ٢ ص ٢١٥ .

٢٩ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٥ ص ٥٠٠ .

٣٠ ـ **اليعقوبى** : تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٨٨ .

٣١ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٥ ص ٥١٠ .

٣٢ ـ **اليعقوبى** : تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٣٨٩ .

٣٣ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٦ ص ٤٩ .

٣٤ ـ المصدر السابق : ج ٦ ص ٥٠ .

٣٥ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٦ ص ٥٦ .

٣٦ ـ **الطبرى** : تاريخ ج ٩ ص ٢٧٨ .

٣٧ ـ **المسعودى** : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٤٩ .

٣٨ ـ **الجزيرى** : درر الفوائد ص ٢١٧ .

٣٩ ـ **الجزيرى** : درر الفوائد ص ٢١٩ .

ـ المصدر السابق : ص ٢٢٠

٤٠ ـ **الجزيرى** : درر الفوائد ص ٢٢١ .

ـ **المسعودى** : مروج الذهب ج ٢ ص ١٧١ .

ـ **القلقشندى** : صبح الاعشى ج ٢ ص ٢٧٣ .

٤١ ـ **الجزيرى** : درر الفوائد : ص ٢٢٢ .

٤٢ ـ **دحلان** : خلاصة الكلام ، ص ٤٨ .

٤٣ ـ **البغدادى** : تاريخ بغداد ص ٤٥٠ .

٤٤ ـ **ابن العماد الحنبلى** : شذارات الذهب فى اخبار من ذهب ج ١ ص ١٠٣ .

٤٥ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٧ ص ٧٥ .

٤٦ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٨ ص ١١٠ .

٤٧ ـ المصدر السابق : ج ٦ ص ٧٧ .

٤٨ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٧ ص ٣٣٣ .

٤٩ ـ **حسن ابراهيم حسن** : تاريخ الاسلام السياسى ج ٣ ص ٢١٠ .

٥٠ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٧ ص ٣٦٠ : ٣٦٦ .

ـ **حركة الحرون** : وهى حركة تنتمى الى فرقة الخوارج وتراسلها الحرون .

٥١ ـ **ابن الاثير** : الكامل ج ٧ ص ٣٨٠ : ٣٨٢ .

ـ **انظر : الشهرانى** (الملك والنحل) ، ج ٢ ص ٧٨

٥٢ ـ المصدر السابق : ج ٧ ص ٣٨٤ .

٥٣ ـ **السيوطى** : تاريخ الخلفاء ص ٣٤٨ .

٥٤ - ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ٥٤٨ .
٥٥ - الطبرى : تاريخ ج ١٠ ص ١٠٥ .
٥٦ - ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ٥٥٢ .
٥٧ - ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٤٤ .
٥٨ - ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٦٠ .
- الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٩٩ .
٥٩ - ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ١٦٤ .
٦٠ - الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٣٥ .
٦١ - ابن خلدون : العبر ج ٤ ص ٨٧ .
٦٢ - محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٤٥ .
- محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٤٧ .
٦٣ - ابن الاثير : الكامل ج ٨ ص ٢٩٦ .
٦٤ - المصدر السابق : ج ٨ ص ٣٥٧ .
٦٥ - الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٤٥ .
٦٦ - المصدر السابق : ص ٣٤٦ .
٦٧ - ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٦٠ .
٦٨ - الجزيرى : درر الفوائد ص ٣٤٨ .
٦٩ - ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ١٤٤ .
٧٠ - المرجع السابق : ج ٩ ص ٢٣٦ .
٧١ - الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥١ .
- الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٥٣ .
٧٢ - ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ص ٣٨ .
٧٣ - ابن الاثير : الكامل ج ٩ ص ٤٣٢ .
٧٤ - المصدر السابق : ج ١٠ ، ص ٣٦ .
٧٥ - المصدر السابق : ج ١١ ص ٤٥ : ٣٤٦ .
٧٦ - الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٧٧ .
٧٧ - الطبرى : تاريخ ج ١٠ ، ص ٨٥ .
٧٨ - الجزيرى : درر الفوائد ص ٢٤٤ .
٧٩ - المصدر السابق : ص ٢٥٠ .
٨٠ - ابن الاثير : الكامل ج ١١ ص ٣٦٥ .

* * *